محاضرة لميساء طه

في اليومين 16–17 من شهرأكتوبر (تشرين الأول)، سنة 2009، عقد طلاب الدراسات العليا من جمعتي أريزونا ويو سي أس دي (سان دييغو) مؤتمراً لدراسات علم الإنسان اللساني بعنوان: "ساندريزونا في خريف 2009: حيث يلتقي المحيطُ الصحراءَ". تشكل هذا المؤتمر لتبادل العلماء وورشة للمعلومات. وقعت المؤتمر في بناية حاوري لدراسات علم الإنسان في جامعة أريزونا في توسان. حضر هذا المؤتمر طلاب الجامعتين وبعض الأساتذة من قسم علم الإنسان في جامعة أريزونا. قدم الدكتور روبرت ستاش من يو سي أس دي الخطاب الرئيسي وقدم 12 طالباً من الجامعتين وواحد من خامعة أدنبرة في اسكتلندا مقالاتهم في المؤتمر، منهم طالبة جامعة أريزونا في قسم دراسات علم الإنسان اللساني باسم ميساء طه. وأُركز على تقديمها في هذه المقالة.

تدرس ميساء حالياً للحصول على درجة الدكتوراه. حصلت على درجة الماجيستير متخصصة باللغة الأسبانية من جامعة أيوا في سنة 2002، وتخرجت من جامعة إلينوي الويسليان سنة 1997 من قسمي اللغة الأسبانية والتاريخ. تدرّس اللغة الأسبانية الآن في خامعة أريزونا، وفوق ذلك هي ذات تجربة في الترجمة والتقييم الأكاديمي في اللغة الأسبانية.وتعتزم على إكمال بحثها لأطروحة الدكتوراه في جنوب اسبانيا، مع التركيز على التشريعية الوطنية للتعليم هدفاً لاستيعاب الأطفال المهاجرين إلى معاييرٍ لغويةٍ وأخلاقيةٍ واجتماعيةٍ للذاتية الأسبانية. تهتم بصورة خاصة بأدوار الإيديولوجيات اللغوية ونظريات العلامات في خلق ودعم قواعد وأمثال الحداثة العلمانية الأوروبية في مقابل غيرية المسلمين.

حضر تقديم ميساء، بعنوان "حياة القيم الاجتماعية (مع الاعتذار لآسصف آغا)" حوالي 20–30 شخصاً. تتركز ميساء على العمليات اللغوية والتفاعلية المستخدمتة في تشكيل القيم الوطنية، وسوف تقوم ببحث لأطروحة الدكتوراه في مدرسةً ثانويةً متعددة الثقافات في جنوب اسبانيا. وزارت هذه المدرسة، باسم مار دي هوْارتَس، الصيف الماضي من أجل أبحاث الأولية للاطروحة. تقترح ميساء أنّ مصدر التوتر في المدارس الأسبانية ليس موخة الهجرة الحديثة فحسب بل ظاهرة أكبر وأوسع – أهي – إعادة النظر في اسبانيا من حيث القيم الوطنية. وتؤثّر هذه العملية على تفاعلات المدرّسين

والتلاميذ. وتنوي ميساء أن تستعمل أدوات علم الإنسان اللسانية في تحقيق تأثير إعادة النظر هذه في حياة المهاجرين والأصليين في اسبانيا بواسطة تحليل خطاب عوموي عن الأخلاق.

وأعطتنا ميساء بعض الأمثلة التي تُشيرُ إلى أعادة النظر عن القيم الوطنية في اسبانيا والخطاب المقابل. فتطالب، مثلا، التشرعية الإسبانية للتعليم من كل المدرّسين باندماج ثمانية مهارات أساسية في خططهم التعلمية وهي:

1) المهارات اللغوية

2) الرياضيات

3) العلم

4) المهارات الاجتماعية والمدنية

5) المهارات الثقافية والفنية

6) تعلم التعلم

7) الحكم الذاتي

8) المبادرة الشخصية

ويقدّم المفهومُ الأساسي الذي يشمل كل المهارات هذه المواطنَ الإسباني المثالي كأنه "مواطن عالمي". ولكنه من الصعب أن نعين جوهرية بعض هذه المهارات – و"تعلم التعلم" بالأخص. كيف يكون "تعلم التعلم" مفهوما محددا يستطيع المدّرسون أن يدرسوه؟

وبدأت ميساء أبحاثها بثلاثة أنواع البيانات في منهجيتها وهي: سرود طويلة من مقابلات مع المدرسين والتلاميذ، زيارات عائلات يحضر أطفالها هذه المدرسة المذكورة (مسجلة على أشرطة الفيديو والصوت)، ويوميات صوتية. وستأخذ بعين الاعتبار مصادر نصية تربوية وشعبية ووسائط الإعلام المتعددة، بالإضافة إلى الخرائط التي سيرسموها التلاميذ. وستبحث ميساء في كل هذه المعلومات عن أجوبة لأسئلتها بمثابة : ما هي الرسائل الداخلية والخارجية حول خصائص المواطن المثالي، مثلاً، في المحادثات؟ هل هناك توتر بين الرسائل الداخلية والرسائل الخارجية؟ ماذا يُقيل عن الأخلاق المثالية أو القبول في المجموع؟ ما هي الصور النمطية والشعارات، مثل "انا إلى نحن" و "إحتفلوا بالتنوع".

وبعد التقديم سألت أشلي عن علامات النمط المختلفة بين البنات المسلمات وغير المسلمات؟ وكيف تُظهِر اختلاف الإيديولوجيات؟ فردت ميساء أنّها تكون واضحةً، مثلا تلبس المسلمات (معظمهن من أصل مغربي) الحجاب بينما تلبس معظم البنات من أصل إسباني تنانير قصيرة جداً. وسألت طالبة من سان دييغو عن مناهج التنظيم المدرسي، وشرحت ميساء أنّ المدراء والمدرسين ينظمون التلاميذ في مجموعات ومن المفروض أنّ فعل المجموعات لا تتغير من سنة تدريسية الى أخرى. وسألت دانة عن توجهيات الأوامر – من أين تيجي، مثلا، أهمية مفهوم المهارات الثمانية، لا سيما "تعلم التعلم". وجاوبت ميساء أنّ هذا السؤال مهم جدا لبحثها، وينبغي أنها تحلله في المستوى المحلي.

إنني أهتم بهذا الموضوع كثيراً واستمتعت بالتقديم وأنتظر نتائج بحث ميساء في مناقشة أطروحتها. وأذهب إلى القول بأنّ العلاقة بين اللغة والتعليم هي غير مرئية مع أنّها واضحة في نفس الوقت لانه لا يخطر على بال معظم الناس تسائل هذه العلاقة. وبدأت معظم الدراسات مثل هذه في السنوات العشرين الأخيرة والعشرة الأخيرة بالأخص. وأعتقد (لما أكون متفائلة، على الأقل) أنّ أبحاث عن مواضيع مثل هذا، متعلقة باللغة والإيديولوجية، سوف تساعد تطوُر التفاهم بين مجموعات مختلفة الأفكار ونسبةً معتدلون أولاً، ثم الناس أكثر الأفكار في السنوات القادمة.